

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[240] قالوا: يا أيُّها الراعي لا يحلُّ لنا الكذب أفينجينا منك الصدق؟ فأخبروه بقصَّتْهم، فانكب الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول: يا قوم لقد وقع في قلبي ما وقعَ في قلوبكم، ولكن أمهلوني حتى أردُّ الأغنام على أربابها وألحق بكم، فتوقفوا له، فردَّ الأغنام، وأقبل يسعى يتبعه الكلب... فنظر الفتية (الوزراء) إلى الكلب وقال بعضهم: إِنْ نَخَافُ أَنْ يَفْضَحَنَا بِنَبَاحِهِ، فَأَلْحَقُوا عَلَيْهِ بِالْحَجَّارَةِ، فَأَنطَقَ اللهُ تَعَالَى جَلَّ ذِكْرُهُ، الْكَلْبُ [قَائِلًا]: ذَرُونِي حَتَّى أَحْرَسَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ. فلم يزل الراعي يسير بهم حتى علا بهم جبلا، فانحطَّ بهم على كهف يُقَالُ لَهُ (الوَيْد) فَإِذَا بِفَنَاءِ الْكَهْفِ عَيُونُ أَشْجَارٍ مَثْمَرَةٍ فَأَكَلُوا مِنْ الثَّمَرِ، وَشَرَبُوا مِنْ الْمَاءِ، وَجَذَّهْمُ اللَّيْلِ، فَأَوَّوْا إِلَى الْكَهْفِ وَرَبَضَ الْكَلْبُ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ وَمَدَّ يَدَيْهِ عَلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ. (فَأَنَامَهُمْ اللهُ نَوْمًا طَوِيلًا وَعَمِيقًا)(1). وفيما يخص ديقيانوس قال بعض المفسِّرين: إِنْ نَزَّهٌ كَانَ امْبِرَاطُورُ الرُّومِ وَحَكَمَ مُنْذُ عَامِ 249 - 251 مِيلَادِي، وَقَدْ كَانَ عَدُوًّا شَدِيدًا لِلْمَسِيحِيِّينَ، وَكَانَ يُؤْذِيهِمْ وَيُعَذِّبُهُمْ، وَذَلِكَ قَبْلَ اعْتِنَاقِ مَلِكِ الرُّومِ لِدِينِ الْمَسِيحِيَّةِ. 2 - أَيْنَ كَانَ الْكَهْفُ؟ لِلْمَفْسِّرِينَ وَالْعُلَمَاءِ كَلَامٌ كَثِيرٌ حَوْلَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، أَيْنَ كَانَتْ مَنَاطِقَتُهُمْ؟ وَأَيْنَ يَقَعُ الْكَهْفُ الَّذِي مَكَّنُوا فِيهِ؟ وَهَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَلَاظِ أَنْ نَزَّهٌ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْعَثُورَ عَلَى الْمَكَانِ الدَّقِيقِ لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ لَا يُؤْثِّرُ كَثِيرًا عَلَى أَصْلِ الْقِصَّةِ وَدُرُوسِهَا التَّرْبَوِيَّةِ وَأَهْمِيَّتِهَا التَّأْرِيخِيَّةِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ لَيْسَتْ الْوَحِيدَةُ الَّتِي نَعْرِفُ أَصْلَهَا وَلَا نَعْرِفُ بَعْضَ جَزْئِيَّاتِهَا وَتَفْصِيلَاتِهَا، إِلَّا أَنَّ مَعْرِفَةَ مَحَلِّ الْحَادِثِ يُسَاعِدُنَا حَتْمًا فِي فَهْمِ أَكْثَرِ _____ 1 - سَفِينَةُ الْبَحَارِ، ج 2، ص 382 مَادَّةُ فِكْرٍ.